أثر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفاسير أهل تونس المعاصرين "الحروف المقطّعة في أوائل السور القرآنية نموذجا".

ملخّص البحث:

تعدّ الحروف المقطّعة في أوائل السور القرآنية من المباحث الرئيسية في علم التفسير، وهو ما جعل مفسّري القرآن يحاولون بيان المراد منها فكثرت أقوالهم حولها. وفي هذا الإطار يتنزّل هذا البحث والذي عنونته ب " **أثر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفاسير أهل تونس المعاصرين "الحروف المقطّعة في أوائل السور القرآنية نموذجا".** والذي حاولت فيه بيان أثر الشيخ بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير في تفاسير أهل تونس المعاصرين وقد اخترت ثلاث تفاسير أوّلها تفسير الشيخ الصادق بلخير السياري وعنوانه "تسهيل التفسير لمحكم آيات التنزيل" وتفسير الشيخ محمّد المختار السلامي "نهج البيان في تفسير القرآن" وتفسير الشيخ محمّد البشير بن جديديه" تنوير المستنير في بيان معاني البيان".

Abstract

The ḥurūf al-muqaṭṭa‘a or ‘the disjointed letters’ found at the beginning of some Quranic chapters are considered among the main topics that absorbed the attention of Quranic exegetes as they speculated over their meanings, producing thus a multitude of scholarly opinions about them. The current research entitled “The Influence of Sheikh Muhammad Al-Taher Bin Ashour on the Exegeses of Contemporary Tunisian Scholars. _‘The Disjointed Letters’ of the Quran as a Model" is particularly relevant to this specific context. In this research I tried to highlight the influence of Sheikh Bin Ashour on the exegeses of the contemporary Tunisian scholars thanks to his exegesis “Tafseer

aTahreer WA Tanweer" (Interpretation of Liberation and Enlightenment). Three exegeses were selected to that end. They include Sheikh Sadiq Belkhair Al-Sayyari's exegesis, entitled "Tasheel Atafseer li Mohkam Ayaat Atanzeel" (Facilitating the Exegesis of the Decisive Verses of the Quran), the exegesis of Sheikh Muhammad Al-Mukhtar Al-Salami "Nahj Al-Bayan fi Tafseer AL Qur'an" (An Elucidation Approach in the Exegesis of the Quran) and Sheikh Muhammed Al-Bashir bin Jedidiah's "Tanweer Al Mustaneer fi Bayan Maani Al Bayan" (Enlightening Muslims by Explaining the Meanings of the Quran).

الكلمات المفتاحية:

الحروف المقطّعة، ابن عاشور، التحرير والتنوير، تفاسير، تونس، المعاصرين.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصَحْبه أجمعين، وعلى مَنْ تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فلا يخفى ما لعلم التفسير من أهميةٍ كبيرةٍ وشَرَفٍ عظيم، كيف لا ؟! وإن شرفَ العِلْم من شرف مَوْضوعه، ولا يُوجد أشرفُ ولا أقدسُ من القرآن الكريم، ذلكم الكتاب العظيم الذي أنزله الله سبحانه لصلاح الناس وهدايتهم في الدُّنيا والآخرة، ولا يمكن الانتفاع بهذا الكتاب المقدَّس إلا بعد فَهْم معانيه وهذه هي وظيفة علم التفسير. من هنا وجبت العنايةُ بهذا العِلْم الجليل، ولذلك انكبّ الدارسون والباحثون على دراسة القرآن الكريم وبيان ما التبس من معانيه خاصة ما يتعلّق بالمحكم والمتشابه والحروف المقطّعة في أوائل السور القرآنية والتي ظلّ يكتنفها الغموض والالتباس حتّى في هذا العصر. وقد كان لعلماء أهل تونس قديما وحديثا بحوث وآراء قيمة في هذا المجال. وقد ارتأيت تأليف هذا المقال الذي عنونته ب" أثر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفاسير أهل تونس المعاصرين "الحروف المقطّعة في أوائل السور القرآنية نموذجا".

". وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى هذه المقدّمة ومبحثين وخاتمة. تكلّمت في المبحث الأوّل عن أهمية الحروف المقطّعة في أوائل السور القرآنية وأقوال العلماء فيها، و أمّا المبحث الثاني فقد قمت بعرض آراء مفسّري أهل تونس المعاصرين من الحروف المقطّعة مع المقارنة فيما بينها، ثمّ ذكرت في الخاتمة أهمّ النتائج التي توصّلت إليها وجملة من التوصيات.

المبحث الأوّل: أهمية الحروف المقطّعة في أوائل السور القرآنية وأقوال العلماء في تفسيرها

المطلب الأول:

تعريف الحروف المقطّعة

أولا: تعريف الحروف لغة واصطلاحا:

أوّل ما يمكن ملاحظته أنّ هذا المصطلح متكون من لفظين "الحروف" و"المقطّعة" ومع بعضهما يكونان مركبا نعتيا لفظ "الحروف" منعوت وأما لفظ "المقطّعة" فهو نعت. وهنا يجب أن أشير إلى معنى كلا اللفظين في اللغة ثم في الاصطلاح. والحروف هي جمع لكلمة حرف قال ابن سيدة: **"الحرف من الهجاء والحرف: الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كعن وعلى ونحوهما. والحرف: القراءة التي تقرأ على أوجه – وحرفا الرأس شقا وحرف السفينة والجبل: جانبهما."**[1] وقال ابن فارس: **«الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء والعدول، وتقدير الشيء."**[2] وقال الكفوي:" **الحرف: هو من كل شيء أطرفه وشفيره وحدّه، وواحد من حروف الهجاء،**

(1) ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي)، المحكم والمحيط الأعظم، (ج3/ ص 306)، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، (1421 هـ/ 2000 م).
(2) معجم مقاييس اللغة (ص 237).

سميت حروف التهجي بذلك لأنها أطراف الكلمة، ويستعمل في معنى الكلمة يقال: (إذا) مثلا حرف، أي كلمة ... والحرف عند الأوائل: ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة، وربما يطلق على الكلمة أيضا تجوزا وإطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد–والحرف عند النحاة: ما جاء بمعنى ليس باسم ولا فعل."[3]

ثانيا: معنى لفظ "المقطّعة" لغة واصطلاحا:

مقطّعة على وزن مفعّلة (اسم آلة) وهذا اللفظ مشتق من جذر (ق، ط، ع) قال ابن سيدة: "**القطع: إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فضلا قطعه يقطعه قطعا، وقطيعة، وقطوعا."**[4] وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "**القطعة: طائفة من كل شيء والجمع القطعات والقطع والأقطاع."**[5]

ثالثا: المراد من الحروف المقطّعة:

الحروف المقطّعة هي الفواتح التي يفتتح ويبدأ بها القرآن وعدد السور التي تفتتح بالحروف المقطّعة تسع وعشرون سورة وهي كما قال الزركشي نموذج يفتتح به السور القرآنية حيث قال: "**الاستفتاح بحروف التهجي نحو: الٓمٓ، الٓمٓصٓ، الٓمٓرٰ، كٓهٰيٰعٓصٓ، طٰهٰ، طٰسٓمٓ، طٰسٓمٓ، حٰمٓ، حٰمٓ عٓسٓقٓ، قٓ، نٓ وذلك في تسع وعشرين سورة."**[6]

المطلب الثاني:

خصائص وأهمية السور التي تفتتح بالحروف المقطّعة

قال الزمخشري متحدّثا عن خصائص وأهمية افتتاح السور بالحروف المقطّعة:" **وإذا تأملت الحروف التي افتتح الله بها السور، وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر ... في تسع وعشرين عدد حروف المعجم ثم تجدها مشتملة على أصناف أجناس الحروف المهموسة والمجهورة، والشديدة والمطبقة والمستعلية، والمنخفضة، وحروف القلقلة ثم إذا استقريت الكلام تجد هذه الحروف هي أكثر دورا مما بقي ودليله: أنّ الألف واللام لمّا كانت أكثر تداورا جاءت في معظم هذه الفواتح فسبحان الذي دقّت في كلّ شيء حكمته."**[7] كما أنّها من خصائص السور المكية كما قال صبحي صالح:" **وهي من أهمّ خصائص السور المكية كما رأينا حروف التهجّي يفتتح الله بها مواضع من كتابه، وأهمية هذه الفواتح تحملنا على دراستها في بحث خاص نحاول أن نصل فيه إلى الحكمة من وجودها."**[8] وقد ذهب بعض العلماء إلى اعتبار أنّ الحروف المقطّعة مظهر من مظاهر إعجاز القرآن. وقد جمعها

(3)- الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى)، الكليات، (ص393)، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (1419 هـ/ 1998 م).
(4)- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (ج1/ ص159).
(5)- الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، العين، (ج3/ص403)، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،2003م/ 1424هـ.
(6)- البرهان في علوم القرآن (ص 118) وأيضا الإتقان علوم القرآن (ج5/ص 1828) النوع الستون: في فواتح السور.
(7)- البرهان في علوم القرآن (ص 118).
(8)- صالح (صبحي)، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، أغسطس1977م، (ص 234).

السهيلي في قوله "**ألم يسطع نور حق كره.**"[9] وقال الزركشي أيضا: "**وأيضا من أسرار علم الحروف أنّ الهمزة من الرئة، فهي أعمق الحروف واللام مخرجها من طرف اللّسان ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم فصوتها يملأ ما ورائها من هواء الفم، والميم مطبقة، لأنّ مخرجها من الشّفتين إذا أطبقا، ويرمز بهنّ إلى باقي الحروف ... وتأمّل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن، فإنّ (الطاء) جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها: وهي الجهر والشدّة والاستعلاء والإطباق والإصمات، والسين مهموس رخو مستقلّ صفير منفتح، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالسّين والهاء : فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف.**"[10] ويواصل الزركشي في بيان خصائص هذه الحروف لغويا وصوتيا (أي وقع صوتها الموسيقي).[11] ونظرا لأهمية الحروف المقطّعة فقد ألّفت فيها عدّة كتب ودراسات ككتاب درّ الأسرار في تفسير القرآن بالحروف المهملة.[12] ورسالة في أسرار الحروف التي في أوائل السور القرآنية لابن سينا. وكتاب الحروف المقطعة في أوائل السور لأبي سعيد الخادمي. وتأملات في حروف القرآن المقطّعه لنشمي العوفي. والحروف في القرآن الكريم: أنواعها وبلاغتها للدكتور عبد العزيز العمار. والحروف المقطّعة وإعجازها القرآني للدكتور رضا عبد المجيد المتولى ابراهيم.والحروف المتقطعة في اوائل السور القرآنية: دراسة نقدية للتأويلات العددية والتفسيرات الاشارية للدكتور محمد أحمد أبو فراخ. وكتاب الحروف المقطعة في القران الكريم: دراسة تحليلية استقرائية اعداد الباحث الفيتورى فرج ابديوى وهو بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في معارف الوحي والتراث قسم القران والسنّة. وقد سمّاها بعض الباحثين بالحروف النورانية ومنهم د. يوسف بن سليمان [أستاذ محاضر بجامعة الزيتونة اختصاص علوم القرآن والتفسير] ود. المرزوقي بن الهادي المرزوقي [جامعة طرابلس المفتوحة ليبيا] بمقال عنوانه" **إبطال مزاعم المستشرقين حول الحروف النورانية**"، **و** د. على الكيالي والباحثة جهينة الحموي بكتاب عنوانه "**أسرار الأحرف النورانية**" نشر دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة سنة 1999م وغيرهم.

(9)- البرهان في علوم القرآن (ص 119).
(10)- البرهان في علوم القرآن (ص 120).
(11)- (م.ن)، (ص 120 و121).
(12)- ألّف هذا الكتاب مفتي الديار الشامية محمود بن محمد بن نسيب بن حسين بن يحيى حمزة الحسيني الحمزاوي الحنفي (ت 9 محرم 1305 هـ/26 سبتمبر1887م)، طبعته دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2011 م، وحقّقه أسامة عبد العظيم.

المطلب الثالث:

اختلاف العلماء في تفسيرها

اختلف المفسّرون في بيان معنى الحروف المقطّعة على رأيين كما قال الزركشي والزرقاني:[13]

– ***الرأي الأول***: ذهب من رأى بهذا الرأي أنّ هذه الحروف ممّا استأثر الله بعلمه ولم يفسّروها.[14] قال الزركشي:" **أنّ هذا علم مستور وسرّ محجوب استأثر الله به، ولهذا قال الصدّيق رضي الله عنه في كلّ كتاب سرّ وسرّه في القرآن أوائل السور، قال الشعبي: إنّما من المتشابه نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله عزّ وجلّ.**"[15] وهذا الرأي راجع بالأساس كما قال صبحي صالح: "**وإنّ الإعتقاد بأزلية هذه الأحرف قد أحاطها بجو من التورّع عن تفسيرها والتخوّف من إبداء رأي صريح فيها، فهي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلاّ الله كما قال الشّعبي:" سرّ هذا القرآن". وفي هذا المعنى قول علي بن أبي طالب:"في كلّ كتاب سرّ، وسرّه في القرآن أوائل السور". ونقل أهل الأثر عن ابن مسعود والخلفاء الراشدين "أنّ هذه الحروف علم مستور وسرّ محجوب استأثر الله بعلمه.**"[16]

– ***الرأي الثاني***: منهم من فسّرها ورفض كونها علما مستورا ومن هؤلاء الرازي الذي قال: "**وقد أنكر المتكلّمون هذا القول وقالوا: لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يفهمه الخلق لأنّ الله تعالى أمر بتدبره والاستنباط منه وذلك لا يمكن إلاّ مع الإحاطة بمعناه، ولأنّه كما جاز التعبّد بما لا يعقل معناه في الأفعال، فلم لا يجوز في الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلّم بما نقف على معناه وتارة بما لا نقف على معناه، ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم.**"[17] وقد أثر عدّة روايات وتفاسير للحروف المقطّعة عن ابن عباس وعلي وقطرب والفرّاء وغيرهم.[18] ولكنّ يمكن القول أنّ هناك رأيا ثالثا وهو القول بأن هذه الحروف المقطّعة هي للتحدّي والإعجاز وقد قال بهذا القول جمع من العلماء والمفسّرين القدامى والمعاصرين كالزمخشري والرازي وابن تيمية والمزّي وابن كثير الذي يقول في تفسيره:" **وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنّه مركّب من هذه الحروف المقطّعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرّد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرّره الزمخشري فى كشّافه ونصره أتمّ نصر وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ**

(13)- مناهل العرفان في علوم القرآن (ج1/ ص 187).
(14)- البرهان في علوم القرآن (ص 123).
(15)- (م.ن)، (ص 123).
(16)- مباحث في علوم القرآن (ص 236 و237).
(17)- الرازي (فخر الدين)، مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير وتفسير الرازي، (ج2/ ص 4 و5)، دار الفكر، بيروت لبنان، (د.ط)، (1401 هـ/ 1981 م).
(18)- تفسير ابن أبي حاتم (مج 1/ ص 32-33). فمثلا قال ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى "الم" قال:"اسم من أسماء الله الأعظم". وفسرها قتادة بأنها اسم من أسماء القرآن. وأنظر ابن قتيبة (أبو بكر عبد الله بن مسلم)، تأويل مشكل القرآن، (ص 299-310)، تح أحمد صقر، مكتبة التراث، القاهرة مصر، ط2، (1393 هـ/ 1973 م). وأنظر أيضا الكرماني (محمود بن حمزة)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، (ج1/ ص 108 -113)، تح شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة ومؤسسة علوم القرآن بيروت لبنان.

المجتهد أبو الحجّاج المزّي وحكاه لي عن ابن تيمية".[19] وقال بهذا الرأي أبو بكر الباقلاني[20] ومحمد الأمين الشنقيطي الذي قال:" **أما القول الذي يدلّ استقراء القرآن على رجحانه فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب، ونصره الزمخشري في الكشاف.**[21] وهذا مادوّنه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره[22] وعائشة عبد الرحمان(بنت الشاطئ) في كتابها[23]وغيرهم كثير .

المبحث الثاني:

موقف مفسّري أهل توتس المعاصرين من الحروف المقطّعة.

حاولت في هذا البحث جمع آراء ومواقف مفسّري أهل تونس المعاصرين والمقارنة بينها وقمت بترتيبهم حسب الأهمية والأسبقية الزمنية(أي السابق ولادة ووفاة)وقد اخترت أربعة تفاسير منشورة أوّلها تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور[24]،وثانيها تفسير تسهيل التفسير لمحكم آيات التنزيل للشيخ الصادق بلخير السياري.[25]، وأمّا ثالثها فتفسير"نهج البيان في تفسير القرآن" للشيخ محمد المختار السلامي[26]، وختاما تفسير "تنوير المستنير في بيان معاني البيان" للأستاذ محمّد البشير بن جديدية[27].وقد قمت بتقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة

(19)-.تفسير القرآن العظيم، تح محمود حسن، دار الفكر، بيروت لبنان،1414ه/1993م، ج1/ص52.
(20)- إعجاز القرآن، دار الأمين، القاهرة مصر، ط1، 1414ه/1993م، ص58-62.
(21)- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج3/ص4 و5، ضبطه وصحّحه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،2020م.
(22)- التحرير والتنوير، دار سحنون،1997م، ج1/ص212،126 و213 و216.
(23)- الإعجاز البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة مصر، ط2، 1984م، ص180.
(24) -هو الإمام محمد الطاهر بن محمد بن عاشور شيخ الإسلام والقاضي المالكي. اعتنى بإصلاح التعليم الزيتوني وحاول النهوض بالأوضاع العلمية به. كان رجلا موسوعيا حيث تعدّى تأثير كتاباته حدود بلده لتصل إلى المشرق حيث شارك الإمام في عديد الملتقيات العلمية والفكرية. توفي يوم الأحد 12أوت 1973م وترك إنتاجا علميا تآليفا غزيرا. أذكر منها تفسيره "التحرير والتنوير" وكتابه "مقاصد الشريعة". أنظر ترجمته في تراجم المؤلفين التونسيين (ج3/ ص 304)
(25)- الشيخ الصادق بلخير السياري: اسمه الصادق بن محمد الأخضر بن العربي بلخير السياري ولد بمنطقة بالشوك التابعة لمشيخة زواغة (باجة الجنوبية) في العاشر من مارس 1918 الموافق ليوم الأحد السابع والعشرين من جمادي الأولى 1336 هـ في وسط فلاحي حفظ القرآن فيس سنة مبكرة وهو ما جعل أباه يرسله للدراسة بالجامع الأعظم (الزيتونة) سنة 1928م ليتحصل على شهادة التحصيل من القسم الشرعي يوم 28 ربيع الأول 1355هـ/14 جويلية 1936 م واصل دراسته بالجامع الأعظم ليتحصّل على شهادة العالمية في العلوم بتاريخ 21 جمادي الثانية 1360 هـ/ 16 جويلية 1941 م بتفوق وتحصّل على شهادة الاستحسان وأهداه شيخ الإسلام الحنفي محمد الطيب بيرم كتاب شرح الشفا (مجلدان) ، عمل بعد الاستقلال كإمام خطيب بجامع معبد ابن عباس بـ (سيدي فرج بباجة الجنوبية)، وذلك منذ تأسيسه ، كان يعرف بمعاداته للحكّام العرب والعلماء الماشين في ركابهم حيث كان يصفهم بعلماء السوء وعلماء السلطة، وهو ما جعله محلّ ملاحقات ومضايقات من سلطتي بورقيبة وبن علي التي لم يأبه لها بل واصل في نقده اللاذع لهما وخصّص لذلك مجلس إثر صلاة الصبح بمسجد معبد ابن عباس. من مؤلّفاته تفسيره الذي سمّاه: تسهيل التفسير لمحكم آيات التنزيل " وهو يعتبر تبسيطا لما جاء بتفسير التحرير والتنوير لشيخه وأستاذه محمد الطاهر ابن عاشور ـ طيب الله ثراه ـ وقد تردّد أيضا أنّ للشيخ بلخير مجموعة من الخطب المنبرية بخط يده، توفي ـ رحمه الله ـ في 13 فيفري 2000 إثر تعكّر حالته الصحية ودفن بمقبرة العائلة بباجة. حوار أجريته مع أبناءه: لطيفة وخالد ومحسن وتلميذه حسين الدخلي.وثائق الحالة المدنية + بطاقة التعريف القومية. نسخ من شهائده العلمية (التحصيل والعالمية).
(26)- ولد سنة 1925م وتوفي يوم19 أوت2019م درس بالجامع الأعظم الذي تحصّل منه على شهادة العالمية بملاحظة حسن جدا سنة1948م، درّس بالفرع الزيتوني ببنزرت واشتغل كمدير الفرع اليوسفي الزيتوني بدلية من سنة 1959م، وكناظر عام لمعهد ابن شرف، وبعد إلغاء التعليم الزيتوني عمل متفقّدا للتعليم الثانوي قبل أن يشغل منصب مفتي الجمهورية التونسية سنة1984م و1998. كان عضو في مجمع الفقه الإسلامي الدولي في جدة، ورئيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة .ترأس بين 1989 و1993، المجلس الإسلامي الأعلى في تونس. عمل كذلك كرئيس الهيئة الشرعية لبنك البركة في فرعه بتونس. وكان عضو هيئة التوافق الشرعية بالبحرين، وذلك إلى جانب عضويته الحالية في الهيئة الشرعية لمصرف الزيتونة في تونس. له عديد المؤلّفات في مواضيع مختلفة الى جانب مولفات الرجل المقدر عددها باثنين وعشرين كتابا .ومن مؤلفاته نجد مثلا التعليم الزيتوني ووسائل إصلاحه، الأسرة والمجتمع، الاجتهاد والتجديد، الهداية الإسلامية، آفاق البحث في علم المقاصد. أنظر مقالة بعنوان محطّات مضيئة في مسيرة الشيخ محمد المختار السلامي موقع تاريخ صفاقس/ https://www.histoiredesfax.com نشر بتاريخ 2019/8/29م. وموقع شبكة تحرير وتنوير HTTPS://TAHRIRTANWIR.COM.
(27)-هو محمّد البشير بن محمّد بن منصور بن حمّودة ولد في 24 أفريل 1947م بمدينة صفاقس، درس بمعهد 18 نوفمبر بصفاقس الذي كان يعرف بالحي الزيتوني، توجّه إلى شعبة ترشيح المعلّمين ونجح في البكالوريا بجزئيها بامتياز، كان من المتفوّقين في دراسته وهو ما أهّله للانتساب لدار المعلّمين العليا شعبة لغة ودين، والذي تخرّج منها وعمل كأستاذ للتعليم الثانوي من سنة 1970إلى سنة 1990م، ثمّ اشتغل بكتابة الدولة للشؤون الدينية كملحق سنتي 1990 و1991م، ثمّ كمعتمد للشؤون الدينية بعديد الجهات من سنة1991 إلى سنة2004م، قبل أن يطلب إحالته على التقاعد النسبي للتفرّغ للكتابة والبحث. له عديد المؤلّفات في محالات شتّى كالتفسير وأهمّها كتاب تنوير المستنير في

مطالب كالآتي:

–المطلب الأوّل: موقف الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور وتلميذه الشيخ الصادق بلخير السياري من الحروف المقطّعة (وهذا التقسيم راجع لكون تفسير الشيخ بلخير امتداد وتبسيط لتفسير الشيخ بن عاشور وأردت في هذا السياق المقارنة بين كلا التفسيرين وبيان حدود تأثّر الشيخ السياري بتفسير شيخه) .

–المطلب الثاني: موقف الشيخ محمّد المختار السلاّمي من الحروف المقطّعة.

المطلب الثالث: موقف الشيخ محمّد البشير بن جديدية من الحروف المقطّعة.

المطلب الأوّل:

موقف الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور وتلميذه الشيخ الصادق بلخير السياري من الحروف المقطّعة.

نظرا لوجود عديد الدراسات التي بحث أصحابه في خصائص تفسير بن عاشور وآرائه في تفسير آيات القرآن وقد وجدت في هذا السياق دراسة علمية قيّمة عنوانها "إعجاز القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير" لمحمود بن علي بن أحمد البعداني[28] تعرّض فيها لموقف بن عاشور من الاستفتاح الحروف المقطّعة في أوائل السور حيث قال: "ثمّ إنّ أقوى هذه الأقوال القول بأنّ هذه الحروف للتحدّي والإعجاز وهو ما بيّنه ابن عاشور..."[29] . وفي هذا السياق يحدّد الأستاذ محمّد البشير بن جديدية المنهج الذي اتّبعه ابن عاشور في تفسيره للحروف المقطّعة في أوائل السور حيث قال: "**ولقد اجتهد العلماء منذ بدء التنزيل أن يقدّموا لها تفسيرا أو مدلولا أو تعليلا، وكذلك المتأخّرون عنهم، وقد جمع لهم شيخنا الجليل محمّد الطاهر ابن عاشور هذه الأقوال، وذكرها في تفسيره، وأحصاها واحدا وعشرين قولا، وردّها لأصحابها ،وما استندوا عليه في رأيهم وفي مناقشتها، ولم يطمئنّ الشيخ إلاّ لقولين أو ثلاثة، أنّها رموز للنداء وإثارة الانتباه والأسماع للإصغاء لما يأتي بعدها، وأنّها من تحدّي القرآن للمكذّبين لإعجازهم بأن يأتوا بسورة مثله، وربّما اطمأنّ للقول الثالث بأنّها سرّ من أسرار الله تعالى من علم استأثر به لذاته العلية...**"[30] وهذا بالفعل ما وجدته في تفسير ابن عاشور الذي يقول في تفسيره: " **إنها سيقت مساق التهجي مسرودة على نمط التعديد في التهجية تبكيتا للمشركين وإيقاظا لنظرهم في أن هذا الكتاب المتلو عليهم وقد تحدوا بالإتيان بسورة مثله هو كلام مؤلف من عين حروف كلامهم، كأنه يغريهم بمحاولة المعارضة،**

بيان معاني البيان[4300ص] وكتاب بيان معاني مفردات القرآن[600ص] وله كتب أخرى في الفقه والسيرة، كما ألّف عدّة مؤلّفات أخرى بالاشتراك مع مؤلّفين آخرين مثل كتاب صوت المنبر [خطب جمعية لمجموعة من أئمّة صفاقس] وكتاب إضاءات مع السيد نجيب شعبان وكتاب دليل الحجّ والعمرة مع الشيخ حمّادي بوسريح. له عديد المشاركات في مجال الأدب والقصّة، وشارك أيضا في عدّة برامج إذاعية وتلفزية في قناة "الإنسان" بعنوان "من أسرار القرآن". في مباحث لغوية مختصّة، (لم يُلْقَ رواجا ومتابعة لأنّها مباحث لأهل الاختصاص في فقه اللّغة). عن سيرة ذاتية مكبوبة بخطّ الشيخ محمّد البشير بن جديدية.

(28)- رسالة ماجستير نشرتها جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، كرسي القرآن وعلومه، ط1، 1435ه/2014م.

(29)- إعجاز القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ص375.

(30)- تنوير المستنير في بيان معاني البيان، شركة المنى، صفاقس، ط1، 2011م، ج1/ص505.

ويستأنس لأنفسهم بالشروع في ذلك بتهجي الحروف ومعالجة النطق تعريضا بهم بمعاملتهم معاملة من لم يعرف تقاطيع اللغة، فيلقنها كتهجي الصبيان في أول تعلمهم بالكتاب حتى يكون عجزهم عن المعارضة بعد هذه المحاولة عجزا لا معذرة لهم فيه، وقد ذهب إلى هذا القول المبرد وقطرب والفراء، قال في «الكشاف» وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزلة، وقلت: وهو الذي نختاره، وتظهر المناسبة لوقوعها في فواتح السور أن كل سورة مقصودة بالإعجاز؛ لأن الله تعالى يقول: فأتوا بسورة من مثله [البقرة: 23] فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالتمهيد لمحاولته، ويؤيد هذا القول أن التهجي ظاهر في هذا المقصد؛ فلذلك لم يسألوا عنه لظهور أمره، وأن التهجي معروف عندهم للتعليم، فإذا ذكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم عرف السامعون أنهم عوملوا معاملة المتعلم؛ لأن حالهم كحاله في العجز عن الإتيان بكلام بليغ، ويعضد هذا الوجه تعقيب هاته الحروف في غالب المواقع بذكر القرآن وتنزيله أو كتابيته إلا في كهيعص [مريم: 1] والم أحسب الناس [العنكبوت: 1، 2] والم غلبت الروم [الروم: 1، 2][31] .أمّا الشيخ السياري فإنّه لم يقل بما قال به شيخه وأقصد القول بأنّ هذه الحروف تمثّل مظهرا من مظاهر إعجاز القرآن والتحدّي بل يقف في تفسيرها ويقول بأنّ علمها مستور لا يعلمها إلاّ الله وقد بيّنت ذلك في أطروحة الدكتورا وعنوانها منهج الشيخ الصادق بلخير السياري في التفسير وهي منشورة[32] وإليك نبذة عن المنهج الذي اعتمده في تفسيره للحروف المقطّعة ودفاعه عن رأيه:

1- القول بأنّ هذه الحروف المقطّعة علم مستور اختصّ به الله تعالى وذلك عند تفسيره لقوله تعالى﴿ أَلَمٓ ﴾**التي** وردت في فواتح ست سور نجده يقول:" **الله أعلم بمراده على الصحيح في الحروف المتقطّعة."**[33] وهو ما قاله أيضا في تفسيره لنفس الحرف المقطّع الذي جاء في سورة العنكبوت.[34]

2- القول بأنّ الانشغال بتفسير هذه الحروف مضيعة للوقت وذلك عند ترجيحه لقوله عند تفسيره للآية الأولى من سورة البقرة حيث قال:" **الصحيح في الحروف المقطّعة أنّها ممّا اختصّ الله بعلمه ولا يضرّ الجهل بعدم معرفة معانيها لعدم فوات مصلحة بجهلها على المخاطبين بالقرآن فالخوض في تكهّن معانيها خوض فيما لا يجدي نفعا إذ لو علم الله تعالى أنّ في معرفتها مصلحة للمكلّفين المخاطبين بالقرآن لما سكت عنها ولأمر رسوله صلّى الله عليه وسلّم ببيان ذلك كما قال ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ اَلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾النحل﴿44﴾ فنحن مأمورون أن نقرأ الكلمات المتقطّعة كما أمرنا أن نقرأها الرسول صلّى الله عليه وسلّم توقيفا على كل ما سنّه لنا في تلاوته**

(31)- تفسير التحرير والتنوير، ج1/ص212 و213.
(32)- أنظر المطلب الثاني: موقف الشيخ الصادق بلخير السياري من الحروف المقطّعة، ص179-181، نشر مؤسسة **GLD**، تونس، ط1، 2021م.
(33)- هذا عند تفسيره لسورة آل عمران أنظر تسهيل التفسير لمحكم آيات التنزيل، (ج1/ ص 207).
(34)- (م.ن)، (ج3/ ص 295).

وتفسير غامضه لأنّه أعرف النّاس بذلك صلّى الله عليه وسلّم إذ عليه نزل فما سكت عنه فلا ينبغي التكهّن في معانيه وإضاعة الوقت."(35)

3- تهميش الرأي المخالف والتهجّم على القائلين به حيث قال: "**وقد اشتغل المتقدّمون من المفسّرين في استخراج معانيها وهو بعيد عن منهج القرآن المبني على التّحقيق وترك الأخذ بالظنّ."**(36) وهنا يخالف شيخه ابن عاشور الذي نقل الآراء الأخرى مع ترجيح رأيه أمّا الشيخ الصادق فإنّه لم يذكرها إطلاقا بل وتهجّم على المخالفين لرأيه ورماهم بالجهل والخروج عن طريق الاستقامة والعدل وبذلك فهو يشكّك في عدالتهم وعلمهم.

4- القول بأنّ هذه حروف التهجّي تفيد النداء والتنبيه وهذا مبحث لغوي يلتقي فيه مع شيخه ابن عاشور وذلك عند تفسيره لقوله تعالى﴿ **أَلَٓمَّصٓ﴾الأعراف﴿1﴾حيث** قال: "**حروف تكتب بصورة كلمة من ذوات الأربع أحرف لكنها تقرأ بأسماء هذه الأحرف فنقول ألف لام ميم صاد والحكمة والله أعلم من افتتاح هاته السور وأمثالها بأسماء الحروف التي ليس لها معنى مفهوم غير مسماها الذي تدل عليه هو تنبيه السامع إلى ما سيلقى إليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته شيء فكأنها حروف تنبيه".**(37)

المطلب الثاني:

موقف الشيخ محمد المختار السلاّمي من الحروف المقطّعة في أوائل السور.

يتبنّى الشيخ السلاّمي القول بأنّ هذه الحروف تمثّل مظهرا من مظاهر إعجاز القرآن والتحدّي ويقف في تفسيرها ويقول بأنّ علمها مستور لا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالى وإليك نبذة عن المنهج الذي اعتمده في تفسيره للحروف المقطّعة ودفاعه عن رأيه:

-أوّلا : تبنّي القول بأن هذه الحروف المقطّعة علم مستور اختصّ به الله تعالى ويظهر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿**الٓمٓ﴾ (سورة البقرة آية 1)حيث** قال : "**والطريقة الأسلم والأرجح أن نوقن بأنّ هذه الحروف مزايا في افتتاح السور التي بدئت بها، وأنّ علمها عند الله، وأنّه لا يتعلّق بها حكم ولا تشريع ولا بيان عقيدة. وكما أنّ حاسة البصر لا تستطيع أن تدرك كثيرا من المحسوسات مع أنّها موجودة تقابل عدسة عينه ولا يراها وتلمس جلده ولا يحسّ بها. فكذلك العقل البشري رغم واسع آفاقه وعظيم قدراته يضعف عن إدراك جميع الأسرار".**(38)

- ثانيا: ذكر الاختلاف في هذه المسألة والتهجّم على المخالفين لرأيه: ويظهر ذلك عند تفسيره لسورة يس حيث قال: " **وحملها بعضهم على أنّهما اسم من الأسماء الحسنى لله تعالى، ورأى آخرون أنّهما اسم لمحمد صلّى**

(35)- تسهيل التفسير (ج1/ ص 15).
(36)- (م.ن)، (ص.ن).
(37)- تسهيل التفسير (ج2/ ص 5).
(38)- نهج البيان في تفسير القرآن، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، ط1، 1436ه/2015م، ج 1 /ص21.

الله عليه وسلّم. وذهب آخرون إلى أنّ[يا] حرف نداء، وسين مقصود به الإنسان: يا إنسان، وهذا الإنسان هو محمّد صلّى الله عليه وسلّم. هذا وقد اختار كثير من الناس اسم–ياسين–لبنيهم. ولا أعلم أنّه أطلق على الإناث. وروي عن مالك أنّه لا يرضى التسمية به".(39) وقول الإمام مالك رواه أشهب وذكر في كتب التفسير(40). ويقول في موضع آخر في سياق تهجّمه على المخالفين لرأيه: " **تجد في كتب التفسير محاولات تلتمس وجها لذلك. ومعظمها ذاتي غير موضوعي".**(41)

– **<u>ثالثا: القول بأنّ هذه الحروف المقطّعة مظهر من مظاهر الإعجاز والتحدّي:</u>** ويظهر ذلك لسورة يونس حيث قال: "**تتابع هذه الحروف فيه إشارة دالة على كون القرآن المركّب من هذه الحروف معجز. هي الحروف التي تتصرّفون فيها، وأنتم الأمّة التي من أعظم مزاياها قدرتها على البيان، ونسج الكلام الفصيح الممتع، إنّه إذا رفعتم العناد تذعنون ولا شكّ بأنّ هذا الكتاب من عند الله، وقد تحدّاكم، ولم تستطيعوا أن تأتوا بسورة من الطراز الرفيع الذي جاء عليه. كما يدلّ قوله [تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ]** ".(42) وعند تفسيره لقوله تعالى**[طَسَمَ]** قال:" **افتتحت السورة بالحروف المقطّعة التي تشير إلى أنّ من مثلها جاء نسج القرآن المعجز".**(43) ويذهب إلى أنّ افتتاح السور بالحروف المقطّعة ورد في سياق تحدّي الله للمشركين وأعداء كتاب الله وذلك عند تفسيره للآية الأولى سورة الشعراء**[طَسَمٓ]** قال:" **هذه الأحرف التي تتلى مقطّعة، والتي افتتحت بها على هذا النحو كثير من سور القرآن، تتحدّى المشركين الذين يطعنون في القرآن أن يأتوا بمثله في إعجازه".**(44)

وبعد هذا العرض يتبيّن تأثّر الشيخ السلاّمي بتفسير التحرير والتنوير لمحمّد الطاهر بن عاشور وهو أمر ليس بغريب حيث أنّه تلميذه أخذ منه الفقه والمقاصد وتفسير القرآن.

وكذلك يمكن ملاحظة تأثّره بالقول الأوّل في تفسير الحروف المقطّعة بأنّها من المتشابه الذي لا يعلمه إلاّ الله وهو يلتقي هنا مع الشيخ السياري الذي اختار الرأي ذاته.

(39)- م.ن، ج5/ص348 و349.
(40)- تفسير ابن أبي حاتم، ج10/ص3188، تح أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419 هـ/1998م.
(41)- نهج البيان في تفسير القرآن، ج1/ص21.
(42)- نهج البيان في تفسير القرآن، ج3/ص33.
(43)- م.ن، ج4/ص499.
(44)- م.ن، ج4/ص439.

المطلب الثالث:

موقف الشيخ محمد البشير بن جديدية من الحروف المقطّعة في أوائل السور.

يتبنّى الشيخ بن جديدية القول بأنّ هذه الحروف تمثّل مظهرا من مظاهر إعجاز القرآن والتحدّي ويقف في تفسيرها ويقول بأنّ علمها مستور لا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالى وإليك نبذة عن المنهج الذي اعتمده في تفسيره للحروف المقطّعة وترجيحه لرأيه:

– **أوّلا: القول بأنّ هذه الحروف المقطّعة مظهر من مظاهر الإعجاز والتحدّي:** ويظهر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى﴿ الٓمٓ ﴾ **(سورة البقرة آية 1)حيث** قال: "**أحرف مقطّعة من حروف الهجاء العربية تقرأ ألف، لام، ميم. احتار المفسّرون في فهم مدلولها وفكّ رموزها وأجمعوا أنّها إنّما ذكرت في أوائل السور لبيان إعجاز القرآن، فالخلق لو اجتمعوا إنسهم وجنّهم عاجزون على الإتيان بمثله رغم أنّه مركّب في كلماته وجمله من هذه الحروف التي يتكلّمون بها، وما هذه الحروف إلاّ من لغتهم وكلامهم. والكَلِمُ مجموعة من الجمل، والجملة مجموعة من الكلمات، والكلمة مجموعة من الحروف. وهذه الحروف عندما تركّب بشكل اصطلاحي تدلّ على معنى معيّن محدّد لكن إذا رُكّبت على نحو غير معهود على نحو[ألم] أو [كهيعص] تصبح الكلمة حروفا مقطّعة لا يعرف مدلولها وسرّها إلاّ صانعها، ولذلك لمّا تحيّر العرب في فهمها، رغم أنّ هذه الحروف من أصواتهم ولسانهم ولغتهم أيقن بعضهم أنّ هذا الكلام ليس من كلام أحد منهم وليس من كلام محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وحتّى النبي عليه الصلاة والسلام لم يتكلّم في تفسيرها حين نزلت عليه في بداية الوحي فعُلِم أنّ لها شأنا لأنّ هذه الحروف تمثّل آية أو بعض الآية على أشهر الأقوال وهي مفتتح سورة هامّة جدا هي أولى السور المنزّلة بالمدينة المنوّرة. وازداد أمر الإعجاز تأكيدا بنزول الآية 32 التي تحدّث النّاس جميعهم بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن ولو اجتمعوا عليها ولو استعانوا بشهدائهم، أو أن يأتوا برجل اميّ مثل محمّد صلّى الله عليه وسلّم يقول مثل هذا النصّ القرآني وان اجتهدوا في تعليمه".**[45] ثمّ في مقدّمة تفسيره لسورة آل عمران يدعّم رأيه وذلك بالاستشهاد بقول ابن عاشور وهو ما يدلّ على تأثّره به حيث قال: "**ولقد اجتهد العلماء منذ بدء التنزيل أن يقدّموا لها تفسيرا أو مدلولا أو تعليلا، وكذلك المتأخّرون عنهم، وقد جمع لهم شيخنا الجليل محمّد الطاهر ابن عاشور هذه الأقوال، وذكرها في تفسيره، وأحصاها واحدا وعشرين قولا، وردّها لأصحابها ،وما استندوا عليه في رأيهم، وفي مناقشتها،ولم يطمئنّ الشيخ إلاّ لقولين أو ثلاثة، أنّها رموز للنداء وإثارة الانتباه والأسماع للإصغاء لما يأتي بعدها، وأنّها من تحدّي القرآن للمكذّبين لإعجازهم بأن يأتوا بسورة مثله، وربّما اطمأنّ

(45)- تنوير المستنير في بيان معاني البيان، ج1/ص134 و135.

للقول الثالث بأنّها سرّ من أسرار الله تعالى من علم استأثر به لذاته العلية... "[46] وفي مقدّمة تفسيره لسورة يونس يقول:" **وتقرأ على النحو التالي ألف، لام مع المدّ، ر والقصد منها التّنبيه إلى الإعجاز القرآني وكان العرب أهل اللغة والفصاحة والبيان فأعجزهم القرآن ببيانه عن الإتيان بمثله** .[47] وقد أشار إلى المقصد من الحروف المقطّعة في مقدّمة عشر سور كسورة طه التي قال في مقدّمتها:"**أجمع المفسّرون على أنّهما حرفان من الحروف المقطّعة التي نزلت في مفتتح بعض السور للتنبيه على التحدّي بالإعجاز البياني للقرآن، وبأنّه ليس من قول البشر كما يزعم المكذّبون به**".[48] أمّا في مقدّمة تفسيره لسورة النمل فيقول بأنّ هذه الحروف المقطّعة دليل على صدق نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم هذا النبي الأمّي الذي لم يتعلّم القراءة والكتابة ولم يكم من أهل المناظرات في الفصاحة والبيان في سوق عكاظ قبل بعثته.[49] وقال في مقدّمة تفسيره لسورة ص:"**القول في [ص] كالقول فيما سبق من الحروف المقطّعة في أوائل بعض السور للإشارة لإعجاز القرآن والتحدّي به في تركيبه وحسن نظمه ولتنبيه المخاطب للإصغاء إلى الكلام الوارد بعده**".[50] وقال عند تفسيره لقوله تعالى[حم] سورة غافر آية1:"**سبق القول في هذه الحروف المقطّعة الدّالة على الإعجاز القرآني، وهذا الفنّ ممّا انفرد به القرآن دون غيره**".[51]

<u>ثانيا: تبنّي القول بأن هذه الحروف المقطّعة علم مستور اختصّ به الله تعالى:</u> ويظهر ذلك في مقدّمة تفسيره لسورة البقرة حيث قال بعد ذكره أنّ هذه الحروف المقطّعة من دلائل إعجاز القرآن:" **وإذا كنّا لا نعلم مدلولا معيّنا لهذه الحروف إلاّ أنّ الأكيد هو أنّ تلاوتها تجلب الحسنات لقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشرة أمثالها لا أقول [ألم] حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**[52].[53] وقال أيضا في مقدّمة سورة الحجر:" **حروف مقطّعة لا يعلم مدلولها إلاّ الله، وقد سبق الحديث عنها في مفتتح سورة البقرة، وقال أحدهم لو جمعت هذه الحروف المقطّعة الواردة في مفتتح السور القرآنية وأريد أن يؤلّف منها جملة مفيدة لكانت نص حكيم قاطع له سرّ**".[54] ونجده ينقل قول الرازي في هذه الأحرف المقطّعة ليدعّم به رأيه وذلك في مفتتح سورة يس:" **فلا يعلم تمام السر إلا الله ومن أعلمه الله به، إذا علمت هذا فنقول : اعلم أن العبادة منها قلبية ، ومنها لسانية ، ومنها جارحية ، وكل واحدة منها قسمان: قسم عقل**

(46)- م.ن، ج1/ص505.
(47)- م.ن، ج3/ص388.
(48)- م.ن، ج4/ص490.
(49)- م.ن، ج5/ص375.
(50)- م.ن، ج6/ص267.
(51)- م.ن، ج6/ص364.
(52)-سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر، ح ر2910، وقال أبو عيسى الترمذي" هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه سمعت قتيبة يقول بلغني أن محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومحمد بن كعب يكنى أبا حمزة".
(53)- تنوير المستنير في بيان معاني البيان، ج1/ص134.
(54)- م.ن، ج4/ص152.

معناه وحقيقته وقسم لم يعلم ، أما القلبية مع أنها أبعد عن الشك والجهل ، ففيها ما لم يعلم دليله عقلا ، وإنما وجب الإيمان به والاعتقاد سمعا كالصراط الذي هو أرق من الشعرة وأحد من السيف ، ويمر عليه المؤمن والموقن كالبرق الخاطف، والميزان الذي توزن به الأعمال التي لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفيات الجنة والنار، فإن هذه الأشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي، وإنما المعلوم بالعقل إمكانها، ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع، ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول، وكذلك في العبادات الجارحية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات، وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي أن العبد إذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة لا يكون إلا آتيا بمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة، فربما يأتي به للفائدة، وإن لم يؤمن كما لو قال السيد لعبده : انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها، ولو قال: انقلها فإن تحتها كنزا هو لك ينقلها وإن لم يؤمن إذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية وجب أن يكون منها ما لا يفهم معناه حتى إذا تكلم به العبد علم منه أنه لا يقصد غير الانقياد لأمر المعبود الآمر الناهي، فإذا قال:(حم ، يس ، الم ، طس) علم أنه لم يذكر ذلك لمعنى يفهمه أو يفهمه ، فهو يتلفظ به إقامة لما أمر به[55]. ثمّ يختم تفسير للحرف المقطّع [يس] بقوله:" **يحسن بالمؤمن أن يذهب مذهب الرازي في أن يقرأها تعبّدا لإقامة ما أمر به وهو موقن بأنّه لا يعلم تمام السرّ إلاّ الله تعالى ومن أعلمه الله به**".[56] ثمّ نجده عند تفسيره للحرف المقطّعة في سورة الشورى يوصي بالعدول عن البحث في معاني هذه الحروف واعتبرها من المجازفات[57].

–ثالثا: ذكر الاختلاف في هذه المسألة وتضعيف أقوالهم: لقد توسّع الشيخ بن جديدية في ذكر أقوال من تأوّلوا الحروف المقطّعة وذلك في مواضع عديدة سأكتفي بالإشارة إليها لكيلا أثقل البحث من ذلك مثلا تفسيره لسورة طه حيث نقل اقوال من فسّروا قوله تعالى [طه] بأنّه المقصود به الإنسان والرجل ومحمد لكنّه ينقد هذه الأقوال ويقوم بتضعيفها حيث قال:" **ومنهم من ذكر أنّ طه ويس إسمان من أسماء النّبي صلّى الله عليه وسلّم وهو ما لم يصحّ عند المحقّقين والعلماء**".[58] وهو نفس المنهج الذي سار عليه عند بيانه ل[طس] النمل حيث قال:" **ويتأوّل بعضهم هذه الحروف على أنّها حروف قسم، وقال غيرهم هي أوّل حروف من حروف أسماء الله الحسنى، وليس في هذا قول ثابت معتمد**".[59] ثمّ يؤكّد موقفه الثابت ويضعّف أقوال المخالفين عند تفسيره للحرف المقطّع

(55)- تفسير الرازي، ج26/ص36، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421ه/2000م.
(56)- تنوير المستنير في بيان معاني البيان، ج6/ص172.
(57)- تنوير المستنير في بيان معاني البيان، ج457/6.
(58)- م.ن، ج 4/ص490.
(59)- م.ن، ج5/ص375.

في سورة القلم[ن] وذلك بقوله:" **وقد تأوّل مفسّرون هذا الحرف تأويلات كثيرة مختلفة لم يصحّ منها شيء ولنم يثبت**".(60)

-**رابعا: يصحّح أقوال المخالفين له مع ترجيح رأيه:** وذلك في مناسبة وحيده في تفسيره وذلك عند تفسيره لسورة يس فبعد نقله الأقوال المختلفة في تفسير الحرف المقطّع يقول:" **وإزاء تعدّد هذه الأقوال، وكلّها موثوقة لأنّها صادرة عن أهل علم وتقى وثبات، يحسن بالمؤمن أن يذهب مذهب الرازي في أن يقرأها تعبّدا لإقامة ما أمر به وهو موقن بأنّه لا يعلم تمام السرّ إلاّ الله تعالى ومن أعلمه الله به**".(61)

خاتمة: نخلص في ختام هذا البحث إلى الآتي:

1- أهمية الحروف المقطّعة في أوائل السور وهو ما جعلها مثار جدل من قبل المفسّرين القدامى والمعاصرين فتعدّدت آرائهم وتفاسيرهم لها ممّا أسهم في إثراء المدونة التفسيرية بمثل هذه المباحث المفيدة التي تكشف بلاغة القرآن وإعجازه.

2- هذه الحروف مظهر من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن وهو ما ذهب إليه أغلب المفسّرين والدّارسين للقرآن الكريم وردت في سياق التحدّي الله للمشركين للإتيان بمثله على الرغم من أنّه يتكوّن من نفس الحروف التي يتكلّمون بها وهو ما جعلهم يتوقّفون في تفسيرها ويقولون بأنّها سرّ من أسرار.

3- تأثّر أغلب مفسّري تونس المعاصرين بما ذهب إليه السابقون من أنّ الحروف المقطّعة تدلّ على الإعجاز والتحدّي بخلاف الشيخ السياري الذي فوّض علمها لله تعالى.

4- يمكن ملاحظة تأثّر كل من الشيخ محمد المختار السلاّمي ومحمد البشير بن جديدية بتفسير ابن عاشور على الرغم من اختلاف تكوينهم العلمي، فالشيخ السلاّمي هو من تلاميذ الشيخ ابن عاشور من خريج جامع الزيتونة بينما درس وتخرّج الشيخ بن جديدية من مدرسة المعلّمين العليا ولم يحضر لابن عاشور ولو محاضرة.

ولا يسعني في ختام هذا البحث إلاّ أن أذكّر بضرورة البحث حول آراء مفسّري أهل تونس في المسائل الخلافية ومدى جدّة بحوثهم في مجال علوم القرآن والتفسير، وهذا هو الطريق والمنهج الذي اعتمدته في بحثي هذا والبحوث القادمة إن شاء الله، وكما وعدت سابقا بالعمل على تفاسير جديدة للقرآن الكريم ألّفها زيتونيون، وقد اتّصلت ببعضهم ووعدتهم بإنجاز بحث حول مصنّفاتهم.

(60)- تنوير المستنير في بيان معاني البيان، ج7/ص254.
(61)- م. ن، ج6/ص172.

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

1- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي، تح أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419 هـ/1998م.

2- ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي)، المحكم والمحيط الأعظم، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، (1421 هـ/ 2000 م).

3- الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، العين، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 2003م/ 1424هـ.

4- صالح (صبحي)، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، أغسطس1977م.

5- الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى)، الكليات، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (1419 هـ/ 1998 م).

6- الفيروز آبادي (مجد الدين)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح محمد علي النجار، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة ر، ط3، 1416 هـ/ 1996 م.

7- ابن قتيبة (أبو بكر عبد الله بن مسلم)، تأويل مشكل القرآن، تح أحمد صقر، مكتبة التراث، القاهرة مصر، ط2، (1393 هـ/ 1973 م).

8- الكرماني (محمود بن حمزة)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، تح شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة ومؤسسة علوم القرآن بيروت لبنان.

9- ابن عاشور (محمد الطاهر)، التحرير والتنوير، دار سحنون،1997م.

10- الباقلاني (أبو بكر)، إعجاز القرآن، دار الأمين، القاهرة مصر، ط1، 1414هـ/1993م.

11- ابن كثير (أبو الفداء محمّد بن إسماعيل الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، تح محمود حسن، دار الفكر، بيروت لبنان،1414هـ/1993م.

12- الشنقيطي (محمّد الأمين)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ضبطه وصحّحه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،2020م.

13- بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمان)، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة مصر، ط2، 1984م.

14- الرازي (فخر الدين)، تفسير الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.

15- بن جديدية (محمد البشير)، تنوير المستنير في بيان معاني البيان، شركة المنى، صفاقس، ط1، 2011م

16- السياري (الصادق بلخير)، تسهيل التفسير لمحكم آيات التنزيل، مطبعة تونس الشرقية، ط1، 1435هـ/2014م.

17- الزّرقاني (عبد العظيم)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح فواز أحمد الزّمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، (1415هـ /1995 م).

18- الزّركشي (بدر الدّين)، البرهان في علوم القرآن، تح أبي الفضل الدّمياطي، دار إحياء التّراث، القاهرة، (د.ط)، (1427 هـ /2006 م).

19- السّيوطي (جلال الدّين)، الاتقان في علوم القرآن، وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف، مجمع الملك فهد للطّباعة، الرّياض، (د.ط)، (د.ت).

20- محفوظ (محمّد)، تراجم المؤلّفين التّونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994م.

21- السلامي (محمّد المختار)، نهج البيان في تفسير القرآن، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، ط1، 1436هـ/2015م.

22- البعداني (محمود بن علي بن أحمد) إعجاز القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير نشرتها جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، كرسي القرآن وعلومه، ط1، 1435هـ/2014م.

23- ابن فارس (أبو أحمد بن زكريا)، مقاييس اللغة، اعتنى به الدكتور محمّد عوض مرعب وفاطمة محمّد أصلان، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط1، (1422هـ/2001 م).

24- الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمّد)، المفردات في غريب القرآن، تح وإعداد مركز الدّراسات والبحوث بمكتبة الباز، (د.ط)، (د.ت).

مواقع إلكترونية:

1- موقع تاريخ صفاقس/ https://www.histoiredesfax.com / نشر بتاريخ 2019/8/29م.

2- وموقع شبكة تحرير وتنوير HTTPS://TAHRIRTANWIR.COM.